كـلـمـة الـعـــدد

سهاد ظاهر ناشف*

في هذا العدد من مجلّة "جدل"، يجري التركيز على ممارسات قتل النساء في المجتمع الفلسطينيّ المحتلّ عام 1948، من عدّة جوانب. ظاهرة قتل النساء هي ليست بظاهرة مميَزة للمجتمع الفلسطينيَ، بل هي ممارسة اجتماعيّة تسود العالم والحضارات أجمع، لكن بأشكال وتجلّيات مختلفة باختلاف السياق الذي تُمارَس فيه.

إن تاريخ ممارسات قتل النساء في المجتمع الفلسطيني غير مُوثق وبحاجة لعملية بحث خاصة، لكن هنالك ادعاء بان اول حدث قتل امرأة كان بسنوات الثلاثين من القرن المنصرم، كذلك هنالك توثيق إعلامي لحالة قتل بسنوات ا لستين في الناصرة، تبعته حالات قتل في بداية السبعينيَات في منطقة الرملة، التي أعقبتها احتجاجات ومحاولات نسائيّة غير منظَّمة لرفض ومناهضة قتل النساء[1]، إلاّ أنّ أوج التنظيم النسائيّ والنسويّ لمناهضة ممارسات العنف والقتل في المجتمع الفلسطينيَ في الداخل ظهر في بداية التسعينيَات، وقد سبقته ورافقته جرائم قتل كثيرة وبشعة على امتداد العَقد الأخير من القرن العشرين.

هذا العدد من "جدل" يحاول أن يلقي الضوء على عدّة جوانب من ظاهرة قتل النساء، وهو استمراريّة لأعمال بحثيّة في مظاهر العنف الموجّه ضدّ النساء، في برنامج الدراسات النسويّة في مدى الكرمل، وبداية لمعالجة جوانب جديدة تميَز وتركِّب ممارسات العنف والقتل المُمارَس على النساء والفتيات الفلسطينيَات.

[1] هذه المعلومات تعتمد على تاريخ شفوي سردته عدد من النساء، ومن النسويات الناشطات في الحقل الحقوقي.

يهدف هذا العدد من "جدل" إلى نشر المعرفة مجتمعيًا وأكاديميًا تجاه قتل النساء. هذا التوجّه هو في منتهى الأهمّيّة؛ وذلك أنّه لا زال أفراد من مجتمعنا، حتّى المثقّفون والمثقفات، لا ينسبون العنف ضدّ النساء وقتل النساء إلاّ للثقافة الذكوريّة والبطريركيّة في المجتمع الفلسطينيّ. هذا العدد له مقولة واضحة مشتركة لجميع الأوراق، أبويّة المجتمع هي واحدة من بين عدّة بُنًى تُغذّي قتل النساء. لا يمكننا تجاهل الواقع السياسيّ الذي تعيشه النساء الفلسطينيّات كأقلّيّة محتلّة، فللبنْية الاستعماريّة التي تعيش في كنفها النساء دورٌ هامّ في كيفيّة تقوية البنْية الأبويّة وتقوية مظاهر العنف والتفكيك للمجتمع. هذا التفكيك تُعنى به المؤسّسة الإسرائيليّة، كآلية لإضعاف المجتمع ككل.

في السنة الأخيرة، يمارس برنامج الدراسات النسويّة منهجيّة الدمج بين العمل الأكاديميّ والنشاط النسويّ، إيمانًا منّا بأنّ هذا الدمج يؤدّي إلى نشر المعرفة على نطاق مجتمعيّ أوسع، ممّا يساهم في التغيير المجتمعيّ، وبالمقابل يجعل من ا لبرنامج متواصلاً مع الحقل ليكون محيّنًا معرفيًا بكلّ ما هو جديد حيال أحداث وظواهر يعنى البرنامج بالبحث فيها. أحد المواضيع التي ندمج فيها بين الممارسة الأكاديميّة (كالبحث والنشر) والنشاط النسويّ هو ظاهرة قتل النساء. البرنامج، مُمثَّلاً بمنسّقته، هو شريك في "لجنة مناهضة قتل النساء" - وهي ائتلاف لعدّة جمعيّات ناشطة حقوقيّة ونسويّة، تكتّلت في سبيل مناهضة قتل النساء في المجتمع الفلسطينيّ المُحتلّ عام 1948.

المقالة الأولى لهذا العدد (وهي المقالة التحليليّة) تحلّل أعمالاً إبداعيّة فلسطينيّة عالجت قتل النساء. من الأعمال التي تتناولها المقالة هي الأغنية المصوّرة "لو أرجع بالزمن" (لفرقة دام الفلسطينيّة)، والتماثيل الجسديّة عن قتل النساء (التي عُرضت ضمن مشروع "أرق" للفنان الفلسطينيّ وسيم خير)، وكذلك يجري عرض وتحليل الفيلم المصوّر "بدون عنوان" (للفنانة راية منّاع)، وأخيراً الفسيفساء الجسديّة التي شكّلتها مؤسّسة "سوا" في ذكرى اليوم العالميّ الأخير لمناهضة العنف الموجّه ضدّ النساء. من خلال المقالة، يُحلَّل الخطاب الذي يسود هذه الأعمال، ويجري الربط بين هذا

الخطاب والواقع المَعيش كما ينعكس بقصّة "ياسمين"، وكما تسوّغه المؤسّسة. هذه المقالة تلقي ضوءًا على جانب جديد لممارسة قتل النساء، جانب لم يُعالَج من قبل، وهو فاتحة لعمليّة بحث أعمق وأوسع لكيفيّة معالجة الفنّ والإبداع للقضايا النسويّة عامّة وقضايا قتل النساء خاصّة.

أمّا الورقة الثانية، فهي قصّة "موت الياسمين" ا لتي تسردها الناشطة النسويّة ومديرة "جمعيّة نعم- نساء عربيّات في المركز"، سماح سلايمة إغباريّة. هذه القصّة هي إحدى القصص التي عايشتها وتعايشها يوميًا سماح من خلال عملها، وتبيّنُ من خلالها التماهي بين مؤسّسات المجتمع -بما فيها رجال الإصلاح والعائلة- ومؤسّسات الدولة -بما فيها الشرطة والنيابة-. قصّة ياسمين هي إحدى قصص قتل النساء في اللدّ، وهي تعكس حقائق قتل النساء عامّة في المجتمع الفلسطينيّ. تعكس كيف يمكن منع قتل النساء؛ تعكس القتل المجازيّ لأطفالِ نساءٍ يُقتلن؛ تحكي ألم أمّ امرأة تُقتل؛ تسرد الحرمان الذي يعيشه أطفال كلّ امراة تُقتل؛ تعكس الذرائعَ التي تَسوغها الشرطة لإغلاق ملفّات التحقيق في حالات قتل النساء الفلسطينيّات، وذرائعَ عدم حماية امرأةٍ عَرفت الشرطة أنّ الموت يتربّص بها في بيتها -المكان الذي من المفروض أن يكون هو الأكثر أمانًا لها في العالم.

الورقة الثالثة عنوانها "قتل النساء الفلسطينيّات: بين السلطة الأبويّة والسلطات الإسرائيليّة" للناشطة النسويّة مريم هوّاري، وهي كذلك طالبة حقوق في جامعة حيفا. من خلال ورقتها تحلّل مريم كيفيّة التفاعل بين مؤسّسات الدولة ومؤسّسات المجتمع في حالات قتل النساء. وتلقي الضوء على بنْية ومضامين القوانين، تلك التي تعكس تعاملاً مبنيًا على التسويغ الثقافيّ وعلى التمييز في تعامل المؤسّسة القضائيّة مع جرائم قتل النساء الفلسطينيّات.

تليها الورقة الرابعة للناشطة النسويّة أديلا بياضي-شلون، وهي منظّمة جماهيريّة في "كيان-تنظيم نسويّ". عنوان المقالة " قراءة في عمل الجمعيّات النسويّة في قضايا قتل النساء في المجتمع

الفلسطينيّ". من خلال هذه الورقة، تسرد أديلا عمل الجمعيّات النسويّة الفلسطينيّة لمناهضة مظاهر العنف الموجّه ضدّ النساء والذي يبلغ أوجه في ممارسات قتل النساء. كذلك يجري التطرّق إلى صعوبات وتحدّيات هذه الجمعيّات في عملها اليوميّ والمؤسّساتيّ في التصدّي لممارسة قتل النساء.

الورقة الخامسة عنوانها " قتل النساء في الإعلام الفلسطينيّ داخل إسرائيل"، وهي للمنسّق الإعلاميّ في مركز مدى الكرمل صبحي خطيب. تسرد هذه الورقة كيفيّة تعامل الإعلام الفلسطينيّ في الداخل مع القضايا الحقوقيّة التي تخصّ النساء عامّة وقضايا قتل النساء خاصّة. هذه الورقة تعكس عمليّة "النسخ" المتّبعة في الإعلام الفلسطينيّ في الداخل للخطاب الذي يسود الإعلام العبريّ حين يوثّق قضايا قتل النساء الفلسطينيّات. هذه الورقة تحلّل كيف تُتجاهَل في الإعلام الفلسطينيّ قضايا العنف الموجّه ضدّ النساء، وتَعامُلَه المختزل حين تُقتل امرأة. تبيّن الورقة كيف يُتبنّى الخطاب الذي تفرضه المؤسّسة بين سطور التقارير الإعلاميّة، وتبيّن كيف أنّه لا يجري تجاوز التسويغ الثقافيّ الذي يقوم به الإعلام العبريّ حين تُقتل امرأة.

إنّ ما يميّز هذا العدد من "جدل" هو الخطوط التحليليّة المشتركة بين جميع الأوراق، بدءًا بعلاقة التماهي بين المؤسّسة الرسميّة والمؤسّسة المجتمعيّة، وامتدادًا إلى تبنّي الخطاب الثقافيّ في الإعلام والفنّ والمجتمع عامّة.

* **د. سهاد ظاهر-ناشف** هي منسّقة برنامج الدراسات النسويّة في مدى الكرمل، باحثة ومحاضرة في كلّ من كلّيّة القاسمي وكلّيّة أورانيم للتربية.